مستنسبات أبن رشد في نظرته إلى المرآة

أ.د. منى يونس بحرى
أستاذ متمرس – كلية التربية – جامعة بغداد

مقدمة

تبرز أهمية البحث الحالي من أهمية فكر ابن رشد لكونه جزءاً مهماً من التراث العربي الذي يعمل العرب على المحافظة على ما فيه من عراقة ، ومن خلال التطور الحضاري النهضوي الذي يتجسد في أصالة التراث العربي الإسلامي ومعاصرة فكره فيما يتعلق بالمرأة ، فدراسة نظرة أبن رشد إلى المرأة فيها إسهام متواضع في تأصيل هذا الفكر بخصوصها من خلال التعرف على موقفه في مسيرة تحررها . وفيها تجديد وتدعيم له باستنباط ما يساعد على تطورها منه ، ليصب في مشروع حضاري نهضوي عربي للمرأة العربية دور في إنتاجه ، مشروع يعزز الهوية الثقافية للأمة العربية التي يعمل الأعداء على طمسها بإشاعتهم بأنه لا فكر أصيلاً لها .

ويستهدف البحث تحديد :

١ – نظرة أبن رشد إلى المرأة .

٢ – القوى والعوامل المهمة التي استنبتت نظرة أبن رشد إلى المرأة .

٣ – خصائصها .

٤ – مستلزمات أساسية مستنبطة من نظرة أبن رشد إلى المرأة لتحسين برامج التدريب على العمل النسوي العربي (أنموذج مستنبط) .

وسيتم اتباع المنهج "الوصفي التحليلي" لبعض الأدبيات ذات العلاقة بالموضوع وصولاً إلى استنتاج خصائص النظرة المذكورة وإلى تركيب تصور نظري (أنموذج) مستنبط منها .

علماً بأن المقصود "بمستنبتات أبن رشد في نظرته النسوية" ما نسب إلى أبن رشد من رؤية لطبيعة المرأة وحقوقها وواجباتها ومكانتها في المجتمع .

وفيما يأتي عرض بتحقيق أهداف البحث بموجب تتابعها :

أولاً - نظرة أبن رشد في المرأة :

ويمكن تحديدها على الوجه الآتي :

١ - "أن طبيعة المرأة تشبه طبيعة الرجل ، والأختلاف بينهما في الكم لا في الطبع" لقد خلقا من نفس واحدة فهما متكاملين ، ولكل منهما طبيعته الفردية.

٢ - "للمرأة ذكاء كالرجل" .

٣ - للمرأة مواهب وقوى كامنة كالرجل .

وجه قويم لبناء المجتمع .

٤ - "اعتبار المرأة آلة نسل وحضانة وولادة وأرضاع أطفال من بلايا المجتمع الأولى ، العبودية تفني كل ما فيها من القوة على الأعمال العظيمة" .

٥ - "للمرأة قوى كامنة يمكن أن تنمو لتؤدي وظائف خاصة بها في المجتمع كالسياسة والحرب والفلسفة ولكنها أضعف من الرجل فيها . فقد دلت حالة بعض البلاد في المغرب على أن النساء قادرات كل القدرة على الحرب . ولذلك لا خوف على المملكة من أزمة الأحكام فيها .

٦ - أن معيشتنا الحاضرة لا تدعنا ننظر ما في النساء من قوى كامنة فهي عندنا كأنها لم تخلق إلا للولادة وإرضاع الأطفال وهذا هو السبب في عدم وجود نساء رفيعات الشأن عندنا .

٧ - النساء قد يفقن الرجال في بعض الأعمال كفن الموسيقى إلا أن كمال هذا الفن هو أن يكون الواضع رجلا والموقع أو المنشد امرأة .

٨ - "أن حياة النساء تشبه حياة الثبات . وهن عالة على رجالهن ولذلك كان الفقر عظيما في مدننا لأن عدد النساء فيها مضاعف عدد الرجال . وهن عاجزات عن كسب رزقهن الضروري" .

ثانياً - القوى والعوامل المهمة التي استنبتت نظرة أبن رشد للمرأة :

١ - نشأته :

كانت مدرسته الأولى هي أسرته ، فقد نشأ في أحضان أسرة واعية مسلمة متدينة ، ورافقه العامل الديني منذ ولادته وشبابه وشيخوخته وكان من مسببات بناء فكره الإسلامي لأداء دوره في إطار الدور الأسمى للإسلام في تكوين الأمة العربية من المشرق إلى المغرب ، وقد كان للأسرة أثرٌ في نمو نظرته الشخصية إلى المرأة التي كانت تعامل فيها ولا شك معاملة إنسانية لامتهان رجالها القضاء ومعرفتهم بأحكام الدين في تلك المعاملة وإقتدائه بهم .

٢ - طبيعة مجتمعه (القرطبي) وأهتمام ساسته وأسرته بالعلم :

أن أنتمائية أبن رشد إلى مجتمع قرطبة وطبقيته التي أسلفناها أثرت في ما نسب إليه من نظرة بخصوص المرأة ، فقد كان مجتمعه من أشد المجتمعات الإسلامية وعياً ، إذ ذكر المؤرخ أبن سعيد أنهم كانوا أكثر الناس فضولاً وأشدهم تشغيباً ويضرب بهم المثل بين أهل الأندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بهم وهي صفة عامة من صفات المجتمع العربي الإسلامي وقتذاك وفي حقب متلاحقة آخر ، وكان مجتمع قرطبة يدفع بالعالم إلى التشبع من مادتها إلى درجة الإتقان والتفوق ليكون بمستوى المسؤولية التي يطلبها الموحدون الذين كانوا في أوج قوتهم وكانوا يطمحون إلى تحديد المجتمع وفي مقدمة وسائلهم لذلك العلم والتعليم لبسط سلطانهم على النفوس وتسهيل مهمة الحكم وخدمة الناس

وكان أبن رشد عالماً بقيمة العلم وأثره في تقدم الفرد رجلاً كان أم امرأة ، وفي تقدم المجتمع حتى أنه أوفد إلى مراكش لتأسيس المدارس فيها لكونه أقدر مؤسس.

٣ - أخلاقه ومهنته كقاضي :

ما كان لأبن رشد أن يجرى الحوار مع مجتمعه لو لم تتوافر فيه تلك الصفات الأخلاقية التي جعلته يعيش مع شعبه في اتصال وثيق ، وأي أتصال أقوى من اتصال قاضٍ يواصل الانكباب على قضايا الناس لحماية القانون والدفاع عن حقوق المظلومين من النساء والرجال وحل مشكلاتهم بتطبيق الشريعة السمحاء بحيثياتها المختلفة . لقد كان أستاذاً أقدم لأجيال مرتشفي العلم أصوب ما عنده من علم ، فأكتسب ما ناله من علو المرتبة وشرف المكانة المتسامية لمزاياه الخلقية ومعاملة الناس بالحسنى حتى تفرد بعلو الشأن لكماله وعلمه وفضله ، وكان بكل ما أسلفنا أشد الناس تواضعا وهي السنة الشريفة .

٤ - وطنيته وأهتمامه بقضايا الجموع :

لقد عاش في عصر كانت الأندلس العربية في حاجة للدفاع عن وجودها بكل ما لديها من إرادة لأثبات هويتها القومية وكان يتحول من موقف الفيلسوف الهادئ إلى موقف الوطني الغيور الذي يذكي الحماسة وينطق باسم امته في المواقف الحاسمة . كان يتكلم بالمسجد الجامع من قرطبة ويحث الناس على الجهاد في سبيل الله وكان أولي الأمر يعتمدون عليه حينما يجد الجد في أقناع الناس ومخاطبتهم وقد تعرض في كتابه تلخيص الخطابة للمواضيع التي يهتم بها الخطيب في كلامه للجمهور ويرى أن الأهم منها هي التي تتعلق بقضايا الجماعة، قضايا الشعب ، وهي التي يسميها الأمور العظام .

وهو على تمكن حظوته عند الملوك وعظم مكانته لديهم ، لم ينفق جاهه قط في شيء يخصه ولا في أستمرار منفعة لنفسه ، أنما كان يقصره على مصالح بلده خاصة ومنافع الأندلس عامة .

٥ - تعاملـــه مع الفلسفـــة :

اشتغل أبن رشد كثيراً بترجمة كتب أرسطو وبشرحها والتعليق عليها ولكن عطاءه لم ينحسر فقط في موضوع الفلسفة الأرسطية ، أخذ منه المضمون الفلسفي المجرد الذي يمكن أخضاعه للتفسير والحوار لأختلاف العصور والبيئات ، وتفـود بموقف فلسفي جديد داخل المجتمع الإسلامي ومن ثم داخـل أي مجتمـع تسـوده أيديولوجية دينية بطريقة شمولية تفيد حرية الفكر ، أن هذا التوجه لا يمكن فهمـــه بالنظر إلى الأفكار مستقلة عن سياقها التاريخي وعن محيطها الاجتمـــاعي الـــذي نبتت فيه .

أن أبن رشد اتجه بالخطاب إلى معاصريه لا إلى إنسانية مجردة . أن هـــذا التوجه يحتوي ضمنياً على برنامج عمـــل ، ويتطلـــب أختيـــار موقـــف فكـــري وإيديولوجي لا ينسجم مع ما أنغمس فيه فلاسفة السعادة من مدن فاضلة وفلســـفات خيالية تشبه إمبراطوريات الأفيون . وبرنامج العمل يقتضي عن طريـــق الحـــوار العقلي إيجاد مكان للفلسفة في مجتمع مؤمن بعقيدة ترتكز على الإيمان بالله تعـــالى والتسليم بالأوامر الإلهية . وأن المواقف الفكرية الشخصية التي يتوقعها المجتمـــع من الفيلسوف وبموجب بنيته الاجتماعية والسياسية والثقافية فهي أن يكـــون فيـــها فيلسوفا ثائراً .

وتتوضح الثورية في فلسفة أبن رشد في نظرته إلى المـــرأة فـــي ضمـــن فلسفته الأدبية على الرغم من أنها شغلت حيزاً ضيقاً أزاء فلسفته الطبيعية . فـــهذه النظرة كانت سامية ومغايرة لنظرة أرسطو المتدنية لها وكـــانت أكـــثر ملاءمـــة للتطبيق ومعاصرة .

٦ - نظرته إلى المجتمع وأسباب ظواهره :

(نظر إلى المجتمع الإنساني على أنه يتكون من مجموعة أنظمة اجتماعيـــة متساندة فالنظام الديني يرتبط بالسياسي والاقتصادي والأسري والخلقي والـــتربوي والحضاري ، وأن لكل نظام وظيفة ومجموع هذه الوظائف تكون وظيفـــة البنـــاء

الاجتماعي للمجتمع الإنساني الذي يتغير باستمرار في ضمن العالم المتحرك منذ الأزل بأمر محركه .

وهذه النظرة لم يعرفها علماء الاجتماع الأوائل أمثال أوكست كونت وأميل دورلايم (٦ ص٧٩) .

ونظر إلى الفرد على أنه يرتبط وظيفياً بالمجتمع ، فهو مجبر على أختيار الطرق المستقبلية التي تتناسب والمجتمع ، فهو حر في حياته الخاصة لكنه مجبر على الارتباط بالمؤسسات الاجتماعية كالدينية والأسرية وعلى الالتزام بقيمها التي تحدد توقعات أدواره الاجتماعية ، وهذا يوضح أسبقية أبن رشد في تفسير علاقة الفرد بالمجتمع ، ونظر إلى الحقيقة الاجتماعية على أنها نسبية غير مطلقة ولها أسباب لتغير المجتمع ، مما يجعل العلوم الإنسانية نسبية ومتنافية بفعل تأثير خيال الإنسان وتفكيره المستمر والمتجدد ، وأكد وجود عوامل شبيهة بالظواهر الاجتماعية كظاهرة الفقر وأثر عزلة المرأة عن المجتمع فيها ، لأن العلم عنده ما هو إلا أدراك الموجودات بأسبابها ، ومن رفع الأسباب رفع العلم .

وهذا يوضح أسبقية أفكار أبن رشد وأهميتها وعصريتها بهذا المجال إذا ما قارناها بأفكار علماء الاجتماع الكلاسيكيين والمحدثين أمثال أوكست كونت ، وتالكوث بارسونز وماكس فيبر على التوالي .

٧ - **عالمه الإسلامي الكبير :**

كانت الأندلس جزءاً من العالم الإسلامي الكبير الذي كانت وحدته تتجسد في الدين والثقافة وما يجد فيهما من تيارات ومذاهب تبعاً للتحولات السياسية والاجتماعية التي عاشتها المجتمعات الإسلامية ، ولذلك فمعالجة أي موضوع من تاريخ الفكر في المغرب والأندلس يرتبط بالتطورات الفكرية العامة التي خضع لها العالم الإسلامي كله ، ولا يحق التحدث عن قطيعة بين شرق العالم الإسلامي وغربه لأنتقال المذاهب والنظريات من الشرق إلى الغرب عن طريق الرحلات والتجارة ، وهذا لا يمنع من أن - تكون للفكر المغربي خصوصيات ، إلا أنها

تدخل في باب الجزئيات التي لا تحجب الكليات التي يتسم الأنطلاق منـــها لفـــهم التطورات التي حدثت في المغرب على حقيقتها ، ومواقف العلماء التي تأثرت بـها وبالأحداث السياسية التي عاشتها الدولة الإسلامية كلها . (٣ ص٢١) .

وفي مقدمة الكليات هذه لفهم نظرة أبن رشـــد إلـــى المـــرأة هـــو الديـــن الإسلامي. فالدين من أقوى المؤثرات الروحية لأنه يتصل بالإنسان بشـــكل عـــام لا بذكائه فحسب ، فهو يتغلغل في الأغوار الوجدانية التي تؤثر في فكر الإنســـان ومعتقداته . وقد تأثرت نظرة أبن رشد إلى المرأة تأثراً بالغاً بالإسلام . فقد تضمن الفكر الاجتماعي الإسلامي مجموعة من المبادئ وجدت لنفسها تفهماً وتطبيقاً مـــن المسلمين . ومن هذه المبادئ الحرية والأخاء والمساواة بين البشر جميعا بلا فارق بسبب الجنس أو اللغة او الدين .

وكان معيار التفرقة الوحيد هو التقوى والعلم . وقد توغلت هذه المبادئ إلى عقول المسلمين وإلى نظم المجتمع الإسلامي ، وأصبحت إطارا لحياة الناس يوجـه سلوكهم وحياتهم العملية ، وأصبحت المثل والقيم المستمدة من القرآن الكريم ومـــن الأحاديث النبوية الشريفة بمثابة عامل ضبط اجتماعي للسلوك الفردي والاجتماعي وأنعكس ذلك في التربية المتكاملة للإنسان والمتسمة بالعدالة والديمقراطية في كـــل عناصرها وتشريعاتها .

لقد نظر الإسلام للمرأة نظرة لم تعط لا من قبله ولا من بعده . وأقام هـــذه النظرة على أساس حقائق الفطرة لطبيعة المرأة مؤداها أن الزوجين في الإســـلام يتساويان إنسانيا ، وأنهما متساويان من حيث علاقتهما بالله عز وجـــل وبجزائـــه لهما.

وهذا يزيل النظرة الدونية التي كانت تجعل مكانة المرأة أدنى من الرجـل ، أو تجعلها من جنس منحط .

لقد قرر الإسلام وحدة الجنسين ووحدة الزوجين ، وهذه المســـاواة وتلـــك الوحدة وتلك الصلة بين شطري النفس الواحدة وتلك العلاقات بينهما وما ينفرد بـــه

كل منهما بموجب طبيعته الفردية وما يمكن أن تنمو إليه هـذه الطبيعـة لتـؤدي وظائف خاصة بها في المجتمع ، توضح بآيات قرآنية كثيرة منها :

(يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَـهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء : ١)

(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِـنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَـى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) (آل عمران : ١٩٥)

أن نظرة الإسلام إلى المرأة تختلف عن النظرات التي نظرت إلى علاقتـها بالرجل وتسمو كثيراً ، فالعلاقة بينهما ذات غايات أعظم وأشمل من مجرد أشـباع جنسي . فإذا كان أبن رشد ينظر إلى طبيعة المرأة على أنها تشبه طبيعة الرجـل لكونها من نفس واحدة فأن ترتيبها وأعدادها للحياة لا يمكن أن تتخلف عن تربيـة وأعداد الرجل فإذا فقدت التربية والأعداد الذي يتكافأ مع وظيفتها وغاياتـها فـي الحياة فأن ذلك يترتب عليه تخلف المجتمع بأسره .

ولذلك كان تعليمها واجباً دينياً وفريضة مثل الرجل . فطلب العلم فريضـة على كل مسلم ومسلمة . فهي تربى تربية دينية مكتملة لتقـوم بوظيفـة التنشـئة القويمة للأطفال . وقد أكد ذلك العديد من فلاسفة المسلمين أيضـاً ومـن بينـهم القادسي (٣٢٤-٤٠٣ هـ) الذي أكد إلزامية التعليم للجميع .

٨ - ارتباطه الوثيق بالتاريخ :

ان تاريخ الإنسانية كل حي مترابط الأجزاء متصل الحلقـات ، ولا يمكـن فهم مظهر من مظاهره حق الفهم إذا نظر إليه منفردا مبتور الصلة بسائر المظاهر الأخرى ، فالحضارة العامة وتفذ السير منتقلة بين مختلف الأمم كالنهر المديد تمدهُ الروافد حتى تصب في محيط الأبد العظيم .

لقد كان للعامل التاريخي أثر واضح في نظرة أبن رشد إلى المرأة . فقـد عاش في كنف دولة الموحدين التي جاءت تتويجا لحركة أبن تومرت الإصلاحيـة

الحركة التي تحولت بسرعة إلى ثورة ضد الدولة المرابطية ، التي أكدت محاربة المنحرفين عن الإسلام ، وكأنها نادت بثورة ثقافية تدعو إلى قراءة جديدة للنصوص الدينية وتفتح المجال لقيام حركة عقلانية نقدية جديدة لقضايا المجتمع ، ومنها قضية المرأة ، ولقد قدر أبن رشد وقوف العامل التاريخي وراء تقدم المرأة أو تخلفها في ضمن حركة المجتمع الذي يتغير بأستمرار . وبان البلاد التي تتقدم تعتمد على العلم والفضائل من حيث كونها أولويات في تغيير وجهة الحياة على أرضها . أما البلاد التي لا تتقدم مثل الأولى فلم يتح لها أن تتطور التطور نفسه فتتخلف عن ركب الحضارة وتصبح فريسة للطامعين .

ثالثاً - خصائصها :

تتميز نظرة أبن رشد إلى المرأة بالخصائص الآتية :

١ - كونها نظرة متطورة :

لإيجابيتها مقارنة بنظرة من سبقه ولحقه بعامةٍ من أقوام ومفكرين وفلاسفة. وفي هذا البحث توضيح لذلك من خلال بعض النماذج لها على سبيل المثال لا الحصر :

فمنذ درج الإنسان على هذه الأرض والنظرة إلى المرأة بين مد وجزر لكونها النصف الثاني المكمل لحياة الفرد في المجتمع بغض النظر عن مستوى تطوره في المدينة .

ويلاحظ منذ بدء الخليقة أن الرجل البدائي كان بحكم قوته صاحب السيطرة على نصفه الآخر والشريك الأضعف التابع له . وعلى العموم لم يكن للمرأة حق في التصرف بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والزوجية وكانت كالآلة تنفذ رغبات الرجل ، وذلك بفعل كونها أنثى أهلتها الطبيعة لأداء مهمات إدارة شؤون البيت وتربية الأطفال وتوفير الطمأنينة للرجل الذي يوفر لها ضرورات العيش عن طريق الغزو والسب والنهب والذي أدى إلى الأسترقاق .

وكان لهذه العوامل الأثر الفعال في رسم الوضع الاجتماعي للمرأة البدائية ولحضارة الإنسان الأول وعند إلقاء نظرة على تاريخ الإنسانية يتضح الوضع المذكور .

- فالآشوريين : أخضعوا المرأة للحجاب ولاسيما الحرائر .

- والإغريق : سلبوا مكانتها الاجتماعية وحقوقها الشرعية ولم يسمحوا لها بمغادرة البيت وكان الزوج هو صاحب الإرادة والقوة المسيطرة عليها ، وكانت محرومة من الثقافة العامة ولا قيمة لها في المجتمع من الوجهة القانونية والشرعية ومحرومة من الإرث والملكية وتباع وتشتري كالماشية .

- أما أسبرطة : فقد منحت المرأة حرية جزئية وبعض الحقوق المدنية كالإرث بسبب وضع المدينة الحربي ، حتى أن أرسطو أتهم رجال اسبرطه بالتساهل مع نساء المدينة لمنحها بعض الحقوق . ورد سقوط أسبرطة إلى ذلك (٧ ص١٤) .

أن المرأة تدريجيا بتطور المجتمع اليوناني نالت بعض الحقوق مع وقوفها إلى جانب الرجل عاجزة عن القيام بأي عمل من دون الرجوع إليه .

- وفي مصر القديمة : أعطى الفراعنة القدماء المرأة حرية كاملة فكانت تتحول سافرة الوجه وتسهم بنصيب وافر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

- أما شريعة حمورابي في العراق : فكانت تحسب المرأة في عداد الماشية المملوكة وتفرض على من قتل بنتا لرجل أن يسلم أبنته للمجني عليه ليقتلها أو يتملكها (٧ ص١٨) .

- وفي الشريعة الهندية لم تمنح أي حق من الحقوق والحريات وكانت البنت وقفا للإلهة في المعابد وجزءاً من غنائم الحرب .

- وفي الحضارة الصينية : سميت في الكتب الدينية القديمة بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والملل ، وعرفت في الأدب الصيني بأنها ليس لها حق من

الحقوق ويمكن للرجل أن يبيع كالجارية أو يدفنها حية وحتى سنة ١٩٣٧ كان يوجد في الصين ثلاثة ملايين جارية .

- وعند اليهود الأول : عدّت المرأة لعنة ولم تكن شيئا يذكر وكانت مسلوبة الحقوق ومضطهدة ومنبوذة .

- وعند ظهور المسيحية : رفعت عنها بعض القيود التي تعيق تقدمها وتمت مساواتها في الحقوق والواجبات بالرجل من حيث المبدأ بعدّهما متممين لبعض.

- وفي الجاهلية : لم يكن هناك نظام فصل بين الجنسين ، وكانت المرأة تتمتع ببعض الحرية الناتجة من الثقة في سلوكها الاجتماعي ولها حق الإسهام في وجوه النشاط الثقافي والحربي وكان لها دور ومركز اجتماعي يختلف باختلاف القبائل والبيئات . وكانت بعض القبائل تعدّها شخصاً غير منتج وتباع وترهن أحياناً ، ويتم وأدها خشية الفقر والعار (٨ ص٤٢) .

- أما الإسلام : فقد نظر إلى المرأة نظرة لم تعط لها من قبله ولا من بعده . فالقرآن الكريم شن على المرأة غارة عزاء الجبين وقد انتصر الإسلام على الوأد الجسمي . لكن حل محله في بعض الأجيال واد معنوي وواد عقلي .

فهذا ابو العلاء المعري أحد أبطال الفكر العربي لا يذكر المرأة بخير . وقصيدته التائية دستور نقمة على المرأة ويرى أن الخير كله في عدم وجودها . فالمرأة عنده متهمة في كل حال .

ومثل هذا الأتهام قد يجعلها نفسها تعتقد أنها مرجع التهمة فعلاً . وكان البعض أن أرادوا تعزية صديق لهم في فقد بنت تمثلوا بما كتبه أبو بكر الخوارزمي إلى أحد الرؤساء معزيا له بها :

ولولا ما ذكرته من سترها . ووقفت عليه من غرائب أمرها . لكنت إلى التهنئة أقرب من التعزية . فأن ستر العورات من الحسنات . ودفن البنات من الكرامات .

هذه بعض آراء أدباء القوم ومفكريهم في المائة الخامسة من الهجرة في المرأة وهي مظلمة تمثل نكبتها بهم في الشرق . أما حظها في الغرب فلم يكن بأسعد من حظها في الشرق .

- فقد كانت نظرة الغرب لها في القرون الوسطى بما حملته جهالة الوثنية وخرافات تلك القرون ومعارك الدين والدولة خلالها .
- فمونتياني (١٥٣٣-١٥٩٢) على الرغم من أصالة فكره أكد أبعاد المرأة عن التعليم لأنه يسيء إلى جمالها ولاسيما دراسة البلاغة التي تكسو جمالها الطبيعي جمالاً مصطنعاً .
- أما جان جاك روسو في القرن السابع عشر : فليست المرأة عنده إلا زوجة فقط وليس لها دور يذكر في حياة المجتمع . وتربيتها يجب أن تؤهلها لأسعاد زوجها وأن تكمل شخصيته فحسب ولذلك عنى بتربيتها جسمياً لكي تتمتع بلياقة جسمية وباكتمال صحي وأن تتعلم شؤون التدبير المنزلي وتربية الطفل وأن تتزين لزوجها وأن تتقن الموسيقى لهذا الغرض . غرض إسعاده وأقناعه وإلا تتعلم علوما عقلية لخطر ذلك على أولادها وزوجها وطاعتها له بل على كل من حولها حتى خدمها . فضلاً عن أنها غير قادرة على أستيعاب الأعمال العقلية .
- ويقول (شريدان) الذي يمثل العقلية التي كانت تسود أوربا عام ١٨١٦ على لسان أحد أبطال روايته :

"أن تعلم المرأة لعبة ، وأن تعليمها السحر أشرف من تعليمها القراءة والكتابة وأن ترددها على دور الكتب العامة جريمة ، وأن المكتبات المتجولة أنما هي

شجرة لا تنبت إلا معلومات شيطانية وأن لتعليم الفتاة نتائج خطرة جداً لأنـــها توحي لها بالأستقلال الفكري وأن تختار زوجها وأن تثور على التقاليد" .

- أن المرأة الغربية بعد صراعها الطويل لنيل حقوقها كاملة قد توصلت بفضـــل العلم والمعرفة إلى ما أرادت فخاضت غمار الحياة العامة بشكل تساوت فيه مع الرجل . أما المرأة العربية فقد خاضت غمار التعليم أيضاً وتوصلـــت بفضـــل عزمها ونشاطها إلى مكان الصدارة فلابد لها مهما طال الزمن أن تحصل على حقوقها كاملة أيضاً بموجب الشرائع والكتب السماوية . وهـــي فـــي بعـــض الأقطار العربية كالعراق قد قطعت شوطاً كبيراً في ذلك ، لتأكيد قيادته الحكيمة أن الوعي والعلم وفهم المرحلة التاريخية للأمة العربية هي الأساس في تحـــور المرأة والأساس في تفجير طاقاتها بالاتجاه الصحيح نحو البناء والتقدم .

٢ - إنسانيـــة :

إنسانية رسمت طريق صلاحها وسعادتها من خلال تحقيق قدراتـــها فـــي مسار الفضيلة . وفضائل النفس عند أبن رشد هـــي "العفـــة والعـــدل والشـــجاعة والسخاء فهي دعائم السلوك السوي الذي يطور حياتها نحو الأفضـــل بالارتفـــاع بقدراتها الذهنية والعاطفية إلى مرتبة الكمال ، تحقق الذات الإنسانية بما يرتضيـــه الله عز وجل . وهذا أسمى الغايات الأخلاقية .

وسلم الكمال يعني درجات القدرة . فالكمال نسبي ومحدود حسب الفـــروق بين الأفراد . ولكن موضوعيا فهو أفاق غير محدودة . فعلى سبيل المثـــال كلمـــا ارتفعت أفاق المرأة علميا تفتحت لها أفاق أوسع لوسائل التكيف . وكلما ارتفعـــت على سلم الحكمة اكتسبت قدرة على التوفيق بين المتناقضات . وكلمـــا ارتفعـــت درجة على سلم الإخاء اكتسبت قدرة أفضل على العطـــاء فكلمـــا زادت القـــدرة ارتفعت للكمال .

٣ - قوميـــة :

مستمدة من إيديولوجية الأمة العربية الإسلامية ، فقد نظر أبن رشـد إلـى المرأة في منظور عربي إسلامي يعدّها شريكة الرجل في المجتمع ، ويمكنها مـن أداء أدوار إيجابية في بناء المجتمع "وتحمل مسؤولية تقدمه . أن الإسـلام يضـع الجنة عند أقدام الأمهات ، ويجعل كلمة من أقدس الكلمات في الوجود الإسـلامي إلى الأم وهي كلمة الأمة وأبن رشد سعى إلى رفعه شأن المرأة ونيلـها حقوقـها وقيامها بواجباتها وهذه النظرة الإصلاحية ربما تكون قد أثـرت فـي الحركـات الإصلاحية الإسلامية بل الغربية في الحقب التاريخية التي جاءت بعده . بل أنـها من وجهة نظر الباحثة موجودة حالياً في أهداف البرامج العالمية التي تعمل مـن أجل النهوض بالمرأة وفي أهداف المؤتمرات الدولية التي تعقد من أجل المرأة .

رابعـاً - بنـاءة وممتـدة :

ذكر أبن رشد بأن المرأة يمكن أن تتفوق على الرجل في بعض الأعمـال . وهذا ما أثبتته المرأة الحديثة اليوم . فهي تتفوق على عنـاصر بشـرية أخـرى كالشباب الذي مصيره النضج وعنصر المثقفين المحدود من حيث الكم فضلاً عـن أن بابهم مفتوح أيضاً . وعنصر المرأة يتشابك مع الشباب من جانب ومـع فئـة المثقفين من جانب آخر . وقادر على التكيف سواء في تقبل المفـاهيم الجديـدة أو الارتقاء السريع بها . ومن غير توتر ، والاعتدال في تقبلها من غير مبالغة .

وذكر أيضاً بأن المعيشة في المجتمع هي التي تفرض على المـرأة أدوار معينة كاستعبادها في تربية الطفل وأداء شؤون البيت والمرأة العصرية اليوم تؤدي نفس هذا الدور بوجه عام وذكر بأنها نصف المجتمع الخامل المسؤول عن الفقر ، ولا يعقل اليوم أن تتحقق تنمية أو زيادة في متوسط الدخـل الفـردي والمجتمـع ونصف المجتمع خامل ، وعليه فالمرأة اليوم مطالبة بمواصلـة العمـل لكونـها العنصر النشط القادر على نقل المفاهيم وترسيخ النماذج السلوكية ، أنـها تمثـل العنصر الفاعل للتعامل النفسي المرتبط بعملية بناء المجتمع وتنميته . هذه التنميـة

التي هي في حقيقتها عملية نشر للوعي لظاهرة التغير والبناء ، عملية توثيق بين التكنولوجيا المتقدمة والإطار الثابت من التقاليد الذي يطرحه نظام القيم .

أن المرأة العصرية لها ميزات فهي تعمل على تركيز ذاتها نتيجة التعليم الذي أكسبها عدة نشاطات اجتماعية أعطها ثقة بنفسها ، وهي تطالب بحق تقرير المصير وبأن يكون دورها فعالاً في تطوير المجتمع ، وهي متحررة إلى حد ما من سلطان العاطفة في مقابل الميل نحو العقل والمنطق وعلى الرغم من ذلك فهي في واقعها العربي أكثر شعوراً بالغبن وأكثر تطلعاً لاحتلال مواقع جديدة وأكثر حساسية في التعبير والبحث عن الذات ، وهي أكثر اعتدالا في الحركة .

وجميع هذه الخصائص تؤهلها لأن تؤدي دوراً معيناً في بناء المجتمع وتنميته يدور حول الأنتقال من مرحلة الأنبعاث وخلق إرادة التغير إلى مرحلة التدعيم لإرادة التغير بسبل مختلفة كتوفير أنموذج جديد لمستلزمات التدعيم في برامج عديدة في مقدمتها برامج العمل التدريبي النسوي العربي والذي أستنبطت عناصره الأساسية ومتغيراتها من نظرة أبن رشد .

أن مثل هذا الأنموذج الذي هو تصور لنظام نظري يكشف العلاقة بين العناصر الأساسية لمستلزمات تحسين البرامج التدريبية في مجال العمل النسوي العربي ، والمتغيرات المتعلقة بها ، يمكن أن يفيد العاملين فيها للنهوض بواقع المرأة إذ أنه يعتمد على تدعيم الدافعية من خلال القيم العربية الإسلامية الأصيلة والمعرفة التي تعتمد على الأدراك الواعي لطبيعة الإنسان المرأة ولطبيعة المجتمع والظواهر التي تسوده وأسبابها ونتائجها وكيفية البحث في ذلك والتغلب على المشاكل بشكل علمي ويعتمد أيضاً على النمو القائم على أدراك قابلية المرأة على الأبداع اللازم لديمومة الحياة وتطورها وعلى علاقات اجتماعية سليمة ومهارات عملية وعلى التغير والتقدم .

وهذا كله يبرز الحاجة إلى توافق عدة قوى : قوى فكرية تبدع وتبني ، وقوة قيادية توجه وتفرض وقوة اجتماعية مرنة تتقبل وتنتشر وتمارس .

المصادر :

- أنطون ، فرح ، أبن رشد وفلسفته ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨١ .
- بدوي عبد الرحمن ، أبن رشد ، تلخيص الخطابة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠ .
- زنيير ، محمد ، أبن رشد والرشدية في أطارها التاريخي .
- زبعور ، علي ، العربية ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- الغريزي ، روكس (ممثل رابطة حقوق الإنسان الدولية في الأردن) ، نكبة المرأة بقدماء المفكرين ، المعارف ، المطبعة الحيدرية في النجف ، أيار ١٩٦٠ .
- عمر ، معن خليل ، التحليل السببي للظاهرة عند أبن رشد، أعمال ندوة أبن رشد ، جامعة محمد الخامس ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨١ .
- السباعي ، مصطفى ، المرأة بين الفقه والقانون .
- الكيالي ، باسمة ، تطور المرأة عبر التاريخ ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .